النظرية التنموية المستدامة في فكر مالك بن نبي لتحقيق التغيير الاجتماعي والاقتصادي والبعث الحضاري

د. بوعزة عبد القادر– جامعة أدرار

أ. شهرزاد محمداتني – جامعة أدرار

ملخص:

تحاول هذه الورقة البحثية الوقوف على أهم معالم التنمية المستدامة لأجل الاستفادة منها لبناء تصور نظرية تنموية مستدامة حديثة تنطلق من توجهات فكر مالك بن نبي بهدف الوصول إلى تحقيق التغيير الاجتماعي والاقتصادي المستدام المنشود للدول النامية العربية والإسلامية. وذلك من خلال التعرف إلى ماهية التنمية المستدامة ومكوناتها الأساسية ومحاولة إسقاط ذلك في فكر مالك بن نبي حينما تناول بالدراسة والتحليل فلسفة التغيير الاجتماعي والاقتصادي لأجل الوصول إلى مستوى حضاري راقي من التطور والتقدم في جل الميادين مركزاً على المبدأ الديني باعتباره أساساً لإحداث الحركية الحضارية المثلى دون إغفال العنصر البشري الذي يمثل محور هذه العملية.

مقدمة:

شهدت المجتمعات الإنسانية عبر مراحل التاريخ سلسلة من التحولات الجذرية مست العديد من الجوانب الحياتية المادية واللامادية، حيث أضفى ذلك التحول بمدلول التغير الاجتماعي ديناميكية وحركية تاريخية لتلك المجتمعات منذ ميلادها بداية من المرحلة الجاهلية وصولاً إلى المرحلة ما بعد الحضارة، وهذا بهدف تحقيق بعث حضاري لهذه المجتمعات يتماشى مع حتمية التطور الاجتماعي والاقتصادي المفروض على مستوى النسق العام لمكونات الحضارة.

ولعل تحقيق هذا الهدف لا يتأتى إلا من خلال تجديد الرؤية حول قدرة المجتمعات العربية والإسلامية على قيادة الاقتصاد العالمي بما ينفع الإنسانية بجدارة، من خلال فهم الاقتصاد من منظور البعد الإنساني لا العكس، هذا ما تمظهر في فلسفة مالك ابن نبي لدى مقارنته بين المجتمعات الغربية والمجتمعات العربية الإسلامية.

ويتأكد هذا الطرح من خلال تحليل أهم مظاهر التنمية المستدامة للتغيير الاجتماعي والاقتصادي والبعث الحضاري التي أقرها هذا المفكر العربي الإسلامي المعاصر، للخروج من أزمة التنمية بالمجتمعات العربية والإسلامية خصوصاً، وذلك في ظل التغيرات والإفرازات السياسية والاجتماعية والاقتصادية المتأتية من عولمة المجتمعات والحضارات.

وعليه، تتبلور إشكالية هذه الورقة البحثية من خلال التساؤل التالي: **كيف يمكن الاستفادة من النظرية التنموية المستدامة في فكر مالك بن نبي لتحقيق التغيير الاجتماعي والاقتصادي والبعث الحضاري؟**

يمكن معالجة الإشكالية المطروحة أعلاه، من خلال البحث والتحليل لمضمون المحاور التالية:

أولاً: الإطار النظري للتنمية المستدامة،

ثانياً: الاتجاهات النظرية حول الحضارة عند مالك ابن نبي،

ثالثاً: التغيير الاجتماعي والاقتصادي من منطلقات التنمية المستدامة عند مالك ابن نبي.

أولاً: الإطار النظري للتنمية المستدامة

قدمت عدة تعاريف لتحديد مفهوم التنمية المستدامة، تختلف بحسب الزاوية التي ينظر منها إليها سنستعرض أهمها تبعاً لما يأتي:

✓ حسب تعريف وضعته اللجنة العالمية للتنمية المستدامة سنة 1987 تعرف هاته الأخيرة بأن التنمية المستدامة هي تلك التنمية التي تعمل على: "تلبية احتياجات الحاضر دون أن تؤدي إلى تدمير قدرة الأجيال المقبلة على تلبية احتياجاتها الخاصة"،

✓ وقد قبلت فكرة التنمية المستدامة بأوسع معانيها وتم إقرارها على صعيد واسع، إلا أنه تبين أن ترجمة هذه الفكرة إلى أهداف وبرامج وسياسات عملية، يعتبر مهمة أصعب، نظرا لأن الأمم المتحدة تخضع لقوى رأسمالية لا ترى من مصلحتها التنازل عن نمط إنتاجها المدمر للبيئة. ورغم ذلك يعتبر مؤتمر الأمم المتحدة المتعلق بالبيئة والتنمية جهداً ذو أهمية كبيرة في اتجاه الاهتداء إلى أرضية مشتركة بين المصالح المتعارضة والشروع في عملية التغيير التي تحتاج إليها التنمية المستدامة[1].

✓ كما قدم تعريفاً مادياً للتنمية المستدامة ينصب على الجوانب المادية لها، يؤكد على ضرورة استخدام الموارد الطبيعية المتجددة بطريقة لا تؤدي إلى فنائها أو تدهورها، أو تؤدي إلى تناقص جدواها "المتجددة" بالنسبة للأجيال المقبلة. وذلك مع المحافظة على رصيد ثابت بطريقة فعالة أو غير متناقص من الموارد الطبيعية مثل التربة والمياه الجوفية والكتلة البيولوجية[2]،

✓ أما من الناحية الاقتصادية فتركز بعض التعاريف الاقتصادية للتنمية المستدامة على الإدارة المثلى للموارد الطبيعية، وذلك بالتركيز على "الحصول على الحد الأقصى من منافع التنمية الاقتصادية، بشرط المحافظة على خدمات الموارد الطبيعية ونوعيتها"،

كما انصبت تعريفات اقتصادية أخرى على الفكرة العريضة القائلة بأن "استخدام الموارد اليوم ينبغي أن لا يقلل من الدخل الحقيقي في المستقبل ."وتقف وراء هذا المفهوم الفكرة القائلة بأن: "القرارات الحالية ينبغي ألا تضر بإمكانيات المحافظة على مستويات المعيشة في المستقبل أو تحسينها. وهو ما يعني أن نظمنا الاقتصادية ينبغي أن تدار بحيث نعيش على أرباح مواردنا ونحتفظ بقاعدة الأصول المادية وتحسنها "[3].

---

[1] - Jean-Michel Severino, olivier Charnoz, **Le "développement durable", une exploration**, Etude, Mai 2004, P: 19.

[2] – عبد الله بن حسن النصر، **البيئة والتنمية**، مجلة البيئة والمجتمع، ملحقة بمجلة العلوم والتقنية، تصدر عن مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية، العدد الأول، 1995، ص: 05.

[3] - Geneviève Férone, **Ce que développement durable veut dire**, Paris, 2004, PP: 58-62.

وتختلف تعاريف التنمية المستدامة أيضا بين دول الشمال والجنوب، فالدول الغنية تهتم بالديمومة أكثر من التنمية بمعناها الضيق، أما الدول الفقيرة فتركز على ضرورة التنمية لشعوبها المحرومة، وبذلك فإن التنمية المستدامة تعتبر أحيانا غير متوافقة مع التنمية الاقتصادية التي تتعارض مع الديمومة، مما ينتج استهلاكاً كبيراً للموارد وإنتاج الملوثات[1].

ويعتبر مفهوم التنمية المستدامة مفهوماً حديثاً؛ تحددت معالمه من خلال مؤتمر روما، حيث ورد في ملخص نتائج هذا المؤتمر بأن البشرية إذا استمرت في استخدامها للموارد المستدامة بهذه الوتيرة، فإن ذلك سوف يؤدي إلى تدهور ونفاذ تلك الموارد، بحيث أن هذه الموارد غير قابلة للإحلال، كما أكد المؤتمرون أن التنمية تتوقف على الأخذ بعين الاعتبار للعوامل البيئية، إذ مزجت فكرة التنمية المستدامة بين ثلاثة منظورات أساسية هي الاقتصاد، المجتمع والبيئة، وذلك على النحو الآتي[2]:

- فالتنمية المستدامة من المنظور الاقتصادي هي الحصول على الحد الأقصى من الدخل مع الاحتفاظ بالرصيد الأصلي (رأس المال)، الذي يعني هنا الموارد الطبيعية وعناصر البيئة دون ضرر،
- أما المنظور الاجتماعي، فيهدف إلى استقرار الأنظمة الاجتماعية عن طريق تحقيق العدالة الاجتماعية والقضاء على الفقر، الذي يعد أحد أكبر الأسباب المؤدية إلى تدمير البيئة، وكذلك ضمان حق الأجيال القادمة في التنمية عن طريق المحافظة على الموارد الطبيعية وتطويرها،
- وعن المنظور البيئي للتنمية المستدامة، فيهتم باستقرار الأنظمة الطبيعية وما فيها من عناصر حية وغير حية، وكذلك فهم العلاقة التي تربط الأنظمة البيئية بالأنشطة البشرية وتأثير تلك العلاقة على الإنسان ومقومات حياته.

ثانياً: الاتجاهات النظرية حول الحضارة عند مالك ابن نبي

اعترف مالك بن نبي بولائه لنظرية ابن خلدون في الكثير من القضايا والأفكار ذات الصلة بالحضارة، حيث تنطلق فلسفة مالك ابن نبي في دراسته حول الحضارة من اعتبار هذه الأخيرة ملازمة لكافة الشعوب، وبخاصة الشعوب المتخلفة، العربية منها والإسلامية. وعليه، فإن مسألة التعرف إلى مفهوم الحضارة عند هذا المفكر باتاً ضرورياً لفهم الكثير من العلاقات بين عديد المصطلحات التي وظفها وحللها مالك بن نبي انطلاقاً من هذا المفهوم.

1- مفهوم الحضارة عند مالك ابن نبي

أجمعت العديد من معاجم اللغة العربية على أن كلمة الحضارة أصلها من الحضر، الذي نعني به الإقامة في الحضر بعكس الإقامة بالبادية، ومنه فإن المدينة تعني الاستقرار[3]. أما ابن خلدون فقد أعطى تعريفاً معاكساً للطرح السابق في تناوله لمفهوم الحضارة، حيث عرفها على أنها نهاية العمران وخروجه إلى الفساد ونهاية الشر والبعد عن الخير[4].

---

[1] - Jean-Michel Severino, olivier Charnoz, **Op.cit**, PP: 25-37

[2] - عبد الله بن حسن النصر، **مرجع سبق ذكره**، ص ص: 07-08.

[3] - ابن منظور، لسان العرب، الجزء الأول، دار لسان العرب، بيروت، ص: 658.

[4] - البشير قلاتي، **هكذا تكلم مالك ابن نبي**: نحو منهج رشيد للتغيير الاجتماعي والبعث الحضاري، مكتبة إقرأ، الطبعة الأولى، 2007، ص: 89.

وقد ربط مالك ابن نبي مفهوم الحضارة بمفهوم الثقافة باعتبارها المضمون الحقيقي لمفهوم الحضارة، التي تعد مشكلتها أساس تختلف العالم الإسلامي تاريخياً[1]. وهنا يبين مالك ابن نبي أن بنية الحضارة الأساسية تنطلق من دعامة ثقافة المجتمع الذي نقصده، حيث لا يمكن بناء حضارة مجتمع ما إلا من خلال الإحاطة بمعالم ثقافة هذا المجتمع باعتبارها ركيزة هذا البناء.

كما عرف مالك الحضارة بأنها: " مجموع الشروط الأخلاقية والمادية التي تتيح لمجتمع معين أن يقدم لكل فرد في كل طور من أطوار حياته المساعدة الضرورية " أو هي: " إنتاج فكرة حية تطبع على مجتمع الدفعة التي تجعله يدخل التاريخ "[2]، بمعنى أن الحضارة لدى مالك هي المحيط والبيئة المناسبة لقيام المجتمعات على أسس علمية مستمدة من ثقافة المجتمعات وعاداتهم ومن أصول حضاراتهم.

واستخلاصاً مما سبق، فإن الحضارة تُعد من الشروط الواجب توفرها لأي مجتمع مستقر، إذ أن سقوط الحضارة في المجتمع يعني سقوط الوجود الاجتماعي لهذا المجتمع وانتهاء شخصيته، وبهذا يمكن أن تغلب عليه صفة البدائية، لأن ذلك يتنافى مع الإنسانية. وهنا يقول ابن نبي: "إنني أؤمن بالحضارة على أنها حماية للإنسان لأنها تضع حاجزاً بينه وبين الهمجية"[3]. حيث نستشف من هذا الطرح أن الحضارة في فكر مالك بن نبي تمثل حصانة لحياة الأفراد، وتأمين على حياتهم، فضلاً عن أنها تمثل آلية مناسبة لتوفير مختلف الاحتياجات الضرورية للحفاظ على مكانتهم ومعتقداتهم الدينية والوطنية. وبالتالي يمكن القول أن مالك بن نبي تناول مفهوم الحضارة بتقديمه تعريفاً شاملاً لها يحيط بماهيتها من مختلف الزوايا المتجلية في المجتمع وفي ثقافته.

2- دورة الحضارة لدى مالك ابن نبي

يقر مالك بأن مشكلة الحضارة هي مشكلة كل الشعوب، إذ لا يمكن فهم أي شعب أو حل مشكلته إلا من خلال الارتفاع بفكره إلى الأحداث الإنسانية، من خلال محاولة فهم العوامل والدوافع المؤسسة لتشييد وبناء الحضارة أو تهديمها؛ بمعنى أن القيام بدراسة معمقة للمجتمعات الإنسانية يساعد على اكتشاف مواطن الضعف والقوة وخلق دافعية متعاقبة للأجيال الآنية والمستقبلية بهدف تشييد وبناء الحضارات.

---

[1]- البشير قلاتي، **مرجع سبق ذكره**، ص: 88.

[2]- قسوم عبد الرزاق، **إشكالية الحضارة في فكر مالك بن نبي**، مجلة الموافقات، المعهد الوطني العالي لأصول الدين، الجزائر، العدد 3، جوان 1994، متاح على الموقع الالكتروني للأستاذ مالك بن نبي:
www.binnabi.net/infos/detail/9FDiYKWi789FDiY/ ، تاريخ التحميل: 2012/09/11 على الساعة: 15 h 00.

[3]- أم محمد، مالك بن نبي مؤسس الاتجاه الحضاري في الفكر الإسلامي المعاصر، متاح على موقع الشهاب:
www.chihab.net/modules.php?name=News&file=article&sid=253 بتاريخ: 2012/09/11 على الساعة: 15 h 30.

وفي هذا السياق فإن مفهوم التاريخ عند مالك ابن نبي ينطلق من حركة اجتماعية ناتجة عن دافعية عوامل نفسية تجعل من طاقة النفس المحرك الأساسي للتاريخ الإنساني، إذ أن هذه العوامل النفسية تكون ناتجة عن دفعة الروح بما تشكله من طاقة يبعثها الإيمان في النفس، وبحيث يكون مصدر هذه الطاقة عبارة عن فكرة دينية أو أية فكرة يتم الاقتناع بها[1].

وعليه فإن للحضارة حسب مالك ميلادان: الأول بظهور الفكرة الدينية والثاني تسجيلها في الأنفس ودخولها أحداث التاريخ الإنساني، إذ تبدأ مسيرة الحضارة بمجرد تعلق الإنسان بمبدأ سماوي (ديني أو عقائدي)، وحيث ينتهي الترحيل والقلق والاضطراب؛[2] حيث لا بد من الاستقرار في الحضر، فإذا توفر الأمن للإنسان تطلعت نفسه نحو الإبداع والإنشاء والاستقرار، ومن ذلك قول الله سبحانه وتعالى " فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوعٍ وآمنهم من خوف"[3].

تعتبر معالم نظرية الحضارة عند مالك بن نبي انفراداً في نظرته الموضوعية الخاصة التي عمل من خلالها على تحليل طبيعة الحضارة الإنسانية استناداً إلى الأصول المنهجية العلمية والمنطقية، وذلك بغية الوصول إلى تجسيد وإثبات معالم الحضارة الإسلامية، باعتبارها أنموذجاً أمثلاً يقتدى به لقيام الحضارة المثالية للإنسانية جمعاء.

ويعتبر مالك بن نبي أن: "أم المشكلات التي يواجهها العالم الإسلامي هي مشكلة الحضارة وكيف تدخل الشعوب الإسلامية في دورة حضارية جديدة... هذه القضية باختصار هي التي وجهت لها كل مجهوداتي منذ ثلاثين سنة"[4]. ومن هنا كان مالك قد حدد أبعاد مشكلة العالم الإسلامي الرئيسية باعتبارها مشكلة حضارة، ولذلك كانت المحور الرئيس الذي دارت حوله جميع أبحاثه وكتبه ونذر لها حياته وجهده.

وفي هذا السياق، فإن تاريخ الحضارة عند ابن نبي يشتمل على ثلاثة دورات، تأتي كل منها محددة بشروط نفسية واجتماعية تبعثها فكرة دينية أو عقيدة تنتقل من مجتمع إلى آخر بشكل لا نهائي، حيث تضع الحركة التاريخية كل حضارة بين حدين يتمثلان في الميلاد والأفول، بينهما مرحلة فاصلة تتسم بالانتشار والتوسع[5]. والشكل البياني أدناه يوضح حركة التاريخ الإسلامي كما استدل بها مالك بن نبي على دورة الحضارة على النحو الآتي:

---

[1]- مالك ابن نبي، **ميلاد المجتمع**، ترجمة عبد الصبور شاهين، إشراف ندوة مالك ابن نبي، الطبعة الثالثة، الجزائر ودمشق، دار الفكر، 1986، ص: 26.

[2]- مالك بن نبي، **شروط النهضة**، ترجمة عبد الصبور شاهين وعمر كامل مسقاوي، إصدار ندوة مالك بن نبي، دار الفكر، دمشق، 1986، ص: 55.

[3]- الآية 3 و 4 من سورة قريش، القرآن الكريم.

[4]- أم محمد، مالك بن نبي مؤسس الاتجاه الحضاري في الفكر الإسلامي المعاصر، متاح على موقع الشهاب: www.chihab.net/modules.php?name=News&file=article&sid=253 بتاريخ: 2012/09/11 على الساعة: 30 h 15.

[5]- البشير قلاتي، **مرجع سبق ذكره**، ص: 76.

الشكل رقم (1): يبين حركة التاريخ الإسلامي عند مالك بن نبي

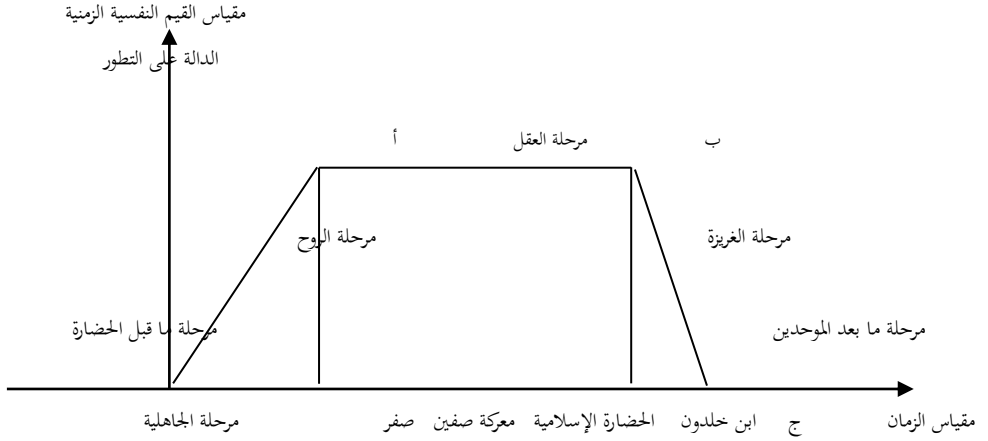

المصدر: مالك بن نبي، **شروط النهضة**، نقلاً عن: البشير قلاتي، **مرجع سبق ذكره**، ص: 78.

من خلال البيان الموضح أعلاه، يبين مالك أن دورة الحضارة تمر بثلاثة مراحل يستطيع الإنسان من خلالها التعرف إلى حركية الحضارة الإسلامية عبر التاريخ الإنساني، حيث يمكن إيضاح كل مرحلة منها على النحو الآتي[1]:

1- **المرحلة الأولى:** وتبدأ من نقطة الصفر إلى النقطة "أ" الموسومة بمرحلة الروح، حيث تخضع فيه الغريزة لمقتضيات الروح وترتفع شدة تيار الطاقة الحيوية للفرد، والتي تعرف أقصى توتر لها متجهة في سيرها لخدمة المجتمع، بما يحقق الوظيفة الاجتماعية للعقيدة، وتتسم العلاقات الاجتماعية القوية والممتدة، وذلك ما يتوافق مع قوله تعالى:" إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنياناً مرصوصاً"[2].

2- **المرحلة الثانية:** تبدأ من النقطة "أ" إلى النقطة "ب"، والتي تعرف بمرحلة العقل، حيث تعرف الحضارة انتشاراً وتوسعاً مادياً، أين تبرز معالم الترف نتيجة لظهور الغرائز التي تتحرر شيئاً فشيئاً، وذلك ناتج عن ضعف سلطة الروح، برغم بقاء هذه السلطة لكن ليس بنفس الدافعية والقوة التي كانت عليها سابقاً.

3- **المرحلة الثالثة:** تبدأ من النقطة "ب" إلى النقطة "ج"، وهي تعرف بمرحلة الغريزة، أين تتفكك الغرائز وتسود الفردية تبعاً لتحرر غرائز الأفراد، مما يؤدي إلى ضعف العلاقات الاجتماعية وتدهورها الذي يهيئ الظروف المواتية للانحطاط وقابلية الاستعمار.

ثالثاً: التغيير الاجتماعي والاقتصادي من منطلقات التنمية المستدامة عند مالك ابن نبي

يهدف فكر مالك بن نبي إلى بناء حضارة ذات أسس ومعايير عربية وإسلامية، باستخدامه منهج انتقائي وبوضعه مبادئ وأصول لإحداث عملية التغيير الاجتماعي، والتي تأخذ العنصر البشري من أهم عناصر معادلتها. ويعتبر مالك أن الفكرة الدينية تعد المرتكز الأساس لأي حركة تغييرية اجتماعية، اقتصادية وحضارية، وأن وظيفة الدين تكمن في إيجاد العلاقة بين العبد وربه وبين العبد وما تحت تصرفه من موارد، هذا التغيير يجعل من الإنسان العضوي بمثابة وحدة

[1]- البشير قلاتي، **مرجع سبق ذكره**، ص: 77.

[2]- الآية 4 من سورة الصف، القرآن الكريم.

اجتماعية ويجعل من عنصر الزمن بمثابة وقتاً اجتماعياً، كما يجعل من التراب مجالاً مجهزاً ومكيفاً لسد الحاجات الاجتماعية.

1- فلسفة البناء الحضاري وعلاقتها بالتنمية المستدامة

بالرجوع إلى تجليات تأثير الفكرة الدينية على البناء المجتمعي وبناء الحضارات نجدها تتجسد في تقسيم مالك بن نبي للمجتمعات إلى ثلاثة فئات[1]:

- ✓ **مجتمع ما قبل الحضارة:** وينحصر في المجتمع البدائي الذي يحتل نظام الستاتيكيا الاجتماعية التي تتسم بالركود والكداسة، وهنا استشهد مالك على هذا النوع من المجتمعات بالمجتمع العربي أثناء الجاهلية، إذ أن هذا الأخير على مستوى عالم الأشياء يعتبر محدوداً بأدوات بدائية تعود إلى تلك الحقبة التاريخية، أما على مستوى الأشخاص فنجده في شكل التجمع البشري الموسوم بالقبيلة، وعلى مستوى عالم الأفكار فيأتي مجسداً في الإنتاج الشعري.
- ✓ **المجتمع المتحضر:** ويبدأ بدخول الدين وتجسيد أفكاره من قبل الأفراد والمجتمعات، وما يتيحه ذلك من أمان واستقرار للحياة الاجتماعية، ومن تماسك بين أفراد المجتمع وسيادة طابع العلاقات الاجتماعية والإنسانية.
- ✓ **مجتمع ما بعد الحضارة:** ويشمل مرحلة ما بعد الموحدين، أين يتراجع التيار الروحي وتنتشر الزندقة والمجون في أوساط هذا المجتمع وخروج أفراده عن العادات الرشيدة والأخلاقية، فضلاً عن ضعف الوازع الديني وانحطاط السلوكات السوية.

ولإحداث حقيقة فعلية للتنمية المستدامة، فإن ذلك يستلزم ضرورة الإحاطة بما يمتلكه المجتمع والاهتمام بالمورد البشري الذي ظهر في معادلة الحضارة والتنمية المستدامة، إذ يحوي كلاً منهما العنصر الفعال متمثلاً في الإنسان، في ضوء توفر بيئة صالحة ومؤهلة لعملية التعايش والاستثمار لإحداث عملية بناء الركب الحضاري العالمي.

ويمكن أن نستكشف العلاقة المباشرة بين البيئة والتنمية من خلال المعادلة التالية: التنمية المستدامة = تنمية + بيئة، حيث تطور هذا المفهوم بدوره من خلال إضافة العنصر البشري ضمن عناصر المعادلة السابقة، مما أفرز مصطلح جديد هو التنمية البشرية أو الإنسانية؛ والتي تعرف على أنها العملية التي تهدف إلى إيجاد البيئة التي تمكن الناس من التمتع بحياة طويلة، صحية وخلاّقة، حيث ينظر لليد العاملة على أنها العنصر الخلاّق دون العناصر الأخرى الديمومة.

ومن خلال هذا التعريف الأخير للتنمية البشرية تتأكد لنا العلاقة الموجودة بين التنمية المستدامة والعنصر البشري، بحيث لا يمكن تحقيق التنمية البشرية إلا من خلال الاهتمام بالأثر الاجتماعي، الذي محوره العنصر البشري. وبصياغة أخرى، فإن حصيلة التفاعل بين العنصر البشري والتنمية المستدامة تؤدي في النهاية إلى نتاج تنمية بشرية فعّالة وشاملة، حيث لا يمكن الحديث عن التنمية الشاملة دون الاهتمام بالعنصر البشري، إذ اتضح بأن البيئة والتنمية يعتمد كل منهما على الآخر اعتمادا متبادلاً وأن كلاً منهما يُكمل الآخر ويدعمه.

---

[1]- نورة خالد السعد، **التغيير الاجتماعي في فكر مالك بن نبي**، مقال متاح على الموقع الإلكتروني لمنتدى طلبة جامعة بسكرة: www.Forum.univbiskra.net/index.php?topic=20713.o ، تاريخ التحميل: 2012/09/11 على الساعة: 15h30.

وعليه فإن عملية التنمية المستدامة التي لا يمكن تجسيدها إلا من خلال منهج متكامل ومترابط العناصر منحصراً بصورة جوهرية في مكوناته الثلاثة الأساسية (العنصر الاقتصادي، العنصر الاقتصادي والعنصر البيئي) هي التي تسهم بشكل فعال في تحقيق العملية التغييرية من وجهة نظر مالك بن نبي، وذلك من خلال تركيزها على مرحلة بلوغ المجتمعات لمستوى حضاري راقي يتسم بالنمو والفعالية[1].

وتشتمل العملية الحضارية للمجتمعات على ضرورة الوفاء بالاحتياجات الأساسية للإنسان، وتوفير الفرص للجميع لتحقيق ما يتطلعون إليه من حياة أفضل. كما تتطلب تعزيز القيم والمفاهيم التي تشجع على ترشيد الاستهلاك، ونشر الوعي بين أفراد المجتمع، واستغلال الموارد الطبيعية استغلالاً مدروساً ومخططاً، وحساب التكاليف والمنافع لجميع العمليات الإنمائية، وتعزيز البرامج والأنشطة العلمية التي تأخذ في الاعتبار ربط العلوم والتقنية باحتياجات وأولويات المجتمع، ونقل التقنيات النظيفة وتطويعها وتطويرها لخدمة الإنسان وسلامة البيئة.

ويتوافق ذلك الطرح مع نظرة مالك بن نبي حول البناء الحضاري وما يتطلبه لإحداث التغيير الاجتماعي، الذي يسعى إلى البحث في حل المشكلات الاجتماعية، من منطلق أن أي مجتمع يحاول الارتقاء إلى مرحلة التحضر باتخاذ العديد من الوسائل المتاحة والممكنة لإحداث ذلك الواقع.

2- التغيير الاجتماعي والاقتصادي للمجتمعات الحضارية

عالج مالك بن نبي في جل كتاباته وفي شتى المواضيع التي تناولها تاريخ المجتمعات وتطورها عبر الزمن، واعتبر أن التغيير الاجتماعي يعد فعل مجتمعي في التاريخ يساعد على انبثاق الحضارات وتكونها، وهو في الحقيقة يمثل عملية تحضر تمس جوانب متعددة للأفراد في نطاق المجتمعات.

ويشير مالك إلى أن التغيير الاجتماعي في جوهره يمثل تغييراً ثقافياً ويصبح في النهاية تغييراًً حضارياً، حيث يفضل البعض تسمية هذه العملية تغييراً حضارياً بدلاً من التغيير الاجتماعي[2].

وقد عرف التغيير الاجتماعي باعتباره تغييراً حضارياً في تاريخه نفس مراحل الدورة الحضارية التي مر بها العالم الإسلامي، باعتبار الحضارة فعل مجتمعي من خلال حركيته، وبهذا تكون المرحلة الأولى هي مرحلة الروح، تليها مرحلة العقل ثم مرحلة الغريزة، حيث تظهر صور لأفكار معينة في كل مرحلة من المراحل السالفة، وبخاصة الفكرة الدينية التي ركز عليها مالك عند حديثه عن الدورة الحضارية، حيث تتباين مواطن تواجدها وقوتها وديمومتها في كل مرحلة.

وقد يشمل التغيير الجوانب الكمية، حيث يتضمن تراكم سلسلة من الإضافات والتعديلات المتعاقبة على المجتمع، وقد يكون تعديلاً كيفياً يشمل منظومة القيم الثقافية، والذي يعني نمواً في الثقافة وفي أشكال العلاقات الإجتماعية والتفاعل الاجتماعي، وهذا كله بغية تحقيق التطور الاجتماعي والاقتصادي، الذي يحتوي في مضمونه تحولات اجتماعية واقتصادية عديدة يكون عمادها أي تغيير مفاجئ، مما يستوجب رصد تلك التحولات الاجتماعية والاقتصادية على

---

[1]- نورة خالد السعد، **مرجع سبق ذكره**.

[2]- البشير قلاتي، **مرجع سبق ذكره**، ص: 107.

مستوى الدراسة والتخطيط بهدف تحديد توجهاتها وغاياتها المقررة لتصل إلى المرحلة القصوى للغاية المرجوة من التغيير المتمثلة في مرحلة التقدم الاجتماعي والاقتصادي الشامل[1].

الخاتمة.

من خلال العرض السابق لجملة أفكار مالك بن نبي حول تناوله لإشكالية البعث الحضاري والتغيير الاجتماعي والاقتصادي من منطلقات معالم التنمية المستدامة وتحليلها يتبين أن تحقيق البناء التنموي والحضاري لا يتأتى إلا من خلال الاهتمام بالفكرة الدينية باعتبارة أساس ودعامة التقدم الحضاري الأمثل للمجتمعات الإسلامية، التي يراد منها قيادة المجتمعات الأخرى بما يجعل منها قدوة يهتدى بها لبناء سائر الحضارات الأخرى.

كما أكد مالك على ضرورة الاهتمام بالعنصر البشري وتلبية احتياجاته، باعتباره الأداة الخلاقة لبناء حضارة المجتمعات والرقي بها إلى مستويات الأمثلية، وهذا ما يتوافق مع مفهوم التنمية البشرية الذي يتكون من عنصري: التنمية والإنسان، باعتبارهما أساس البعث الحضاري للمجتمعات، حيث لا يمكن تحقيق التنمية البشرية إلا من خلال الاهتمام بالأثر الاجتماعي، الذي محوره العنصر البشري، وبالتالي فإن الحديث عن التنمية الشاملة لا يتحقق إلا بالتركيز على العنصر البشري.

[1]- البشير قلاتي، **مرجع سبق ذكره**، ص: 107.